أسباب النفاق وأساليب المنافقين
في ضوء سورة التوبـــة

د. محمد بن سريع بن عبد الله السريع

*- الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- نال درجة الماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (تفسير أئمة الدعوة في نجد إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري. جمع ودراسة).
- نال درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق كتاب (غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، للكوراني من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة إبراهيم).
- له من المؤلفات:
- رحمه الله بخلقه في القرآن الكريم.
- النسخ في القرآن الكريم مفهومه وأنواعه.
- نسخ القرآن بالسنة.

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مـن يهده الله فلا مضـل له، ومـن يضـلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3] أما بعد:

فإن الله تعالى قد أنزل كتابه نوراً وهدى وشفاءً، يجد فيه الفرد وتجد فيه الأمة سر صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وقد جعل

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: آية ١.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١.

الله هذا الكتاب عصمة للناس ومنهاج حياة حتى يأتي الله بأمره، ولذا فإن ما أنزله سبحانه في القرآن العظيم من قصص الأولين وأحوالهم وما وقع لهم وبهم إنما أنزله ليكون عظة وعبرة للناس أجمعين.

ولقد ابتلى الله هذه الأمة بطائفة المنافقين التي كان لها أثر كبير في الإفساد والتخريب، وإشاعة الفوضى والاضطراب في صفوف المؤمنين، وقد حكى الله تعالى عن هؤلاء المنافقين الكثير في كتابه الكريم، وبيّن صفاتهم وأخلاقهم، كما بيّن لنا تعالى أسباب النفاق وأساليب المنافقين التي ينتهجونها للإيقاع بالمؤمنين وصدهم عن دينهم وسلب مقدراتهم، ولذا كان لزاماً علينا أن نرجع إلى كتاب الله لنقرأ فيه ما ذكره تعالى عن هؤلاء المنافقين.

إننا حين نعالج بالدرس ظاهرة النفاق، ونراجع النصوص لنعرف كيف نشأت تلك الظاهرة وما أبرز أسبابها، وما صفات أربابها، وما وسائلهم لتحقيق مرادهم.

إننا حين نقرأ ذلك في نصوص الوحيين فلسنا نقف مع قصص خلت وانقضت، ولسنا نقرأ مثلات وقعت بأصحابها فلم يعد لها أثر.. إن هذه النصوص التي أنزلها الله تعالى في كتابه الكريم لم تكن إخباراً عن أقوام غابرين، إنما هي توجيه للأمة في كل أيامها كيف تتعاطى مع هذه الظاهرة؟ وكيف تعالج هذه المشكلة؟ ... ذلك أن مشكلة النفاق ليست حدثاً عابراً في زمن النبوة فحسب بل هي داء ينخر في جسد الأمة، إنه لم يكن لظاهرة النفاق أن تحتل هذا الحيز من الآيات لو كان

الأمر مجرد واقعة مضت ليس لها امتداد ولا تكرار.

وقد أحببت أن أكتب هذا البحث حول "أسباب النفاق وأساليب المنافقين في ضوء سورة التوبة" وذلك للأسباب التالية :

أولاً : عناية القرآن بهذا الموضوع وعظيم اهتمامه به.

ثانياً : خطورة مرض النفاق، وأثره الفتاك على الفرد والمجتمع.

ثالثاً : جهل كثير من المسلمين بأبعاد النفاق وأسبابه وأساليب المنافقين.

رابعاً : أن الأمة لن يكتب لها العز والنصر حتى تنظر في أسباب ذلها وهزيمتها فتسارع إلى علاجها، ومن ذلك مرض النفاق.

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي :

المقدمة : وبينت فيها أهمية الموضوع وخطة البحث.

التمهيد : **بين يدي السورة :**

أولاً : أسماء السورة.

ثانياً : عدد آياتها.

ثالثاً : تاريخ نزول السورة.

المبحث الأول: تعريف النفاق وأقسامه:

المطلب الأول : تعريف النفاق.

المطلب الثاني : أقسام النفاق.

المبحث الثاني: أسباب النفاق:

المطلب الأول : مرض القلب.

المطلب الثاني : الحرص على الدنيا.

المطلب الثالث : الجبن.

المبحث الثالث: أساليب المنافقين:

المطلب الأول : الكذب ومخادعة المؤمنين.

المطلب الثاني : إلقاء الخبال والإيضاع بين المؤمنين.

المطلب الثالث : الغدر.

المطلب الرابع : مسجد الضرار :

أولاً : التفريق بين المؤمنين.

ثانياً : التعاون بين الكفار.

الخاتمة.

ثم ذيلت البحث بالفهارس اللازمة.

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

التمهيد

بين يدي السورة

ويشتمل على:

أولاً: أسماء السورة.

ثانياً: عدد آياتها.

ثالثاً: تاريخ نزول السورة.

أولاً: أسماء السورة

تعددت أسماء السورة، وكان تعدد هذه الأسماء لتعدد صفاتها، ولم أقف على حديث صحيح عن النبي n -حسب علمي- فيه تسمية لهذه السورة، ولكن التسمية جاءت على لسان الصحابةgومن بعدهم، ومن أبرز الأسماء التي وردت عن السلف ما يلي:

١- **التوبة:** عن ابن عباس c قال: "نزلت سورة التوبة بالمدينة"[١]. وعن حذيفة z قال: "التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب"[٢]. وقد وردت تسميتها بهذا الاسم عن جمع من الصحابة g[٣].

وإنما سميت بذلك لأنه ورد فيها ذكر توبته سبحانه على رسوله n وعلى المؤمنين وعلى الثلاثة الذي خُلفوا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾[٤].

بل لقد عرضت التوبة على المنافقين والمشركين فقال تعالى عن

(١) رواه ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٢٢٢/٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٥٥٤/١٠)، والحاكم (٣٣٠/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) منهم: عمر بن الخطاب وابن مسعود وزيد بن ثابت. انظر: الدر المنثور (٢٢٣/٧).

(٤) الآية ١١٧-١١٨ التوبة.

المنافقين: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾[1].

وقال عن المشركين وسائر الكفار: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾[3].

٢- براءة: عن ابن عباس c: "نزلت براءة بعد فتح مكة"[4].

وقد روي تسميتها بهذا الاسم عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم[5].

وإنما سميت بذلك لأنه ذكر في أولها براءة اللهِ ورسولِهِ من المشركين، يقول سبحانه: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ

(١) التوبة:آية ٧٤.

(٢) التوبة :آية ٣.

(٣) التوبة: آية ١١.

(٤) رواه أبو الشيخ. انظر: الدر المنثور (٢٢٢/٧).

(٥) منهم: عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان والبراء وعبدالله بن عمر وزيد بن ثابت وأبوهريرة وابن مسعود وابن الزبير g. انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص (١٣٠)، الدر المنثور (٧/ ٢٢٣- ٢٢٧).

عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[1].

٣- **الفاضحة:** عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس c: سورة التوبة؟ قال: التوبة؟ قال: بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها"[2].

٤- **العذاب:** عن حذيفة z قال: "التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه"[3].

وعن ابن عباس c أن عمر قيل له: سورة التوبة، قال: هي إلى العذاب أقرب[4].

٥- **المقشقشة:** عن ابن عمرcقال: "ما كنا ندعوها إلا المقشقشة"[5].

قال السيوطي: "المقشقشة أي المبرئة من النفاق"[6]. قال ابن عاشور: "المقشقشة: بصيغة اسم الفاعل وتاء التأنيث، من قشقشه إذا أبراه من المرض، كان هذا لقباً لها ولسورة الكافرون لأنهما تخلصان من آمن بما فيهما من النفاق والشرك لما فيهما من الدعاء إلى الإخلاص،

---

(١) التوبة: آية ١.

(٢) رواه مسلم، كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر رقم (٧٥٥٨)، وروي عن عمر z تسميتها بذلك. انظر: الدر المنثور (٧/٢٢٥).

(٣) سبق تخريجه ص (٨).

(٤) رواه أبو عوانة وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر المنثور (٧/٢٢٥).

(٥) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (الموضع السابق).

(٦) الإتقان (١/٥٥).

ولما فيهما من وصف أحوال المنافقين"[1]. أ.هـ.

٦- **المبعثرة**[2]: لأنها بعثرت أسرار المنافقين وكشفتها.

٧- **المنقِّرة:** لأنها أخرجت ما في قلوب المنافقين والمشركين، عن عبيد بن عمير قال: "كانت براءة تسمى المنقرة؛ نقرت عما في قلوب المشركين"[3].

٨- **البَحوث:** عن جبير بن نفير قال: "جلسنا إلى المقداد بن الأسود بدمشق وهو على تابوت ما به عنه فضل، فقال له رجل: لو قعدت العام عن الغزو، قال: أتت علينا البحوث، يعني سورة التوبة. قال الله عز وجل: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ ولا أجدني إلا خفيفاً"[4].

وسميت بذلك لأنها كشفت ما في قلوب المنافقين وأظهرته.

٩- **الحافرة**[5]: لأنها حفرت عما في قلوب المنافقين من النفاق والعداوة للمؤمنين[6].

---

(١) التحرير والتنوير (٩٥/١٠)، وانظر: لسان العرب (قشش) (٣٣٦/٦).

(٢) قاله ابن عباس C وابن إسحاق.

انظر: الدر المنثور (٢٢٦/٧)، التحرير والتنوير (٩٦/١٠).

(٣) رواه أبو الشيخ. انظر: الدر المنثور (الموضع السابق).

(٤) أخرجه الحاكم (٣٣٣/٢)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٥) قاله الحسن البصري. انظر: التحرير والتنوير (٩٦/١٠).

(٦) قاله الزجاج، انظر: زاد المسير (٣٨٩/٣)، والإتقان (٥٦/١).

١٠- **المثيرة:** لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم[١].

١١- **المخزية:** لأنها أخزت المنافقين، ولأنه ذكر فيها قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِى ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾[٢].

١٢- **المنكلة:** لأنها نكلت بالمنافقين والمشركين[٣].

١٣- **المشردة:** لأنها شردت بالمنافقين وأظهرت عوراتهم[٤].

١٤- **المدمدمة:** من دَمْدَم إذا أهلك[٥]، لأنها كانت سبب هلاك المشركين والمنافقين.

هذا مجمل الأسماء التي ذكرها المفسرون لهذه السورة، والإسمان الأول والثاني هما المشهوران، اللذان وردا على ألسنة كثير من الصحابة، وأما باقي الأسماء فهي أشبه بالصفات لهذه السورة لما فيها من الزجر الشديد، والتهديد والوعيد، ولما أظهرته من صفات المنافقين، وما فضحته من أسرارهم.

---

(١) قاله قتادة. انظر: زاد المسير (٣/٣٨٩)، الكشاف (٣/٥)، الإتقان (١/٥٦).

(٢) التوبة:آية ٢.

(٣) انظر: الكشاف، الإتقان (الموضعين السابقين).

(٤) انظر: المرجعين السابقين (الموضع نفسه)، التحرير والتنوير (١٠/٩٦).

(٥) انظر: لسان العرب (دمم) (١٢/٢٠٩).

ثانياً: عدد آياتها

عدد آيات السورة عند الكوفيين (١٢٩) آية، وعند غيرهم (١٣٠) آية[١].

ثالثاً: تاريخ نزول السورة:

السورة مدنية عند جماهير المفسرين، بل عدَّها بعض أهل العلم آخر سورة نزلت، فعن البراء z قال: "آخر آية نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾[٢]، وآخر سورة نزلت براءة"[٣].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ ... الآية ﴾[٤] نزل بمكة لأنها نزلت في استغفار النبي n لعمه أبي طالب بعد وفاته، وقد كانت وفاته بمكة.

---

(١) انظر: الكشف لمكي (٤٩٨/١)، البيان في عد آي القرآن ص (١٦٠)، بصائر ذوي التمييز (٢٢٧/١).

(٢) النساء: آية ١٧٦.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ رقم (٤٦٥٤).

(٤) التوبة: ١١٣آية ١١٤.

وقد أجيب على هذا الاستدلال بأنه لا يمنع أن يكون النبي n استمر على الاستغفار لعمه إلى وقت نزول براءة في المدينة فنهي عن ذلك[1].

كما ذهب مقاتل إلى أن قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ... الآيتين ﴾[2] نزل بمكة[3].

وهذا القول مخالف لما عليه جماهير المفسرين من أن هاتين الآيتين مدنيتان، بل لقد ذهب أبي بن كعب z إلى أنهما آخر ما نزل من القرآن[4]. ولذا قال ابن عاشور: "وشذَّ ما روي عن مقاتل: أن آيتين من آخرها مكيتان"[5].

والذي يظهر من موضوعات السورة أنها نزلت مفرقة قبل غزوة تبوك وفي أثنائها وبعدها عند مقفل النبي n منها وإرساله لأبي بكر z ليحج بالناس في العام التاسع[6].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١٦/١٦٥)، غاية الأماني (١/٤٤٩)، روح المعاني (١١/٤٧).

(٢) التوبة: آية ١٢٨-١٢٩.

(٣) رواه البغوي (٤/٧)، وانظر: زاد المسير (٣/٣٨٨).

(٤) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (٥/١١٧) رقم (٢١١٥١)، والبيهقي في الدلائل (٧/١٣٩)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢/٣٣٨).

(٥) التحرير والتنوير (١٠/٩٧).

(٦) انظر: تفسير المنار (١٠/١٤٥)، التحرير والتنوير (الموضع السابق).

المبحث الأول

تعريف النفاق وأقسامه

ويشتمل على:

المطلب الأول: تعريف النفاق.

المطلب الثاني: أقسام النفاق.

المطلب الأول: تعريف النفاق

اختلف أهل اللغة في أصل النفاق فقيل: إنما سمي المنافق منافقاً للنَّفَق، وهو السرب في الأرض، لأن المنافق يخفي كفره ويستره، فهو كالذي يدخل النفق ويستتر فيه[(١)].

وقيل: إنما سُمي منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه، فإن اليربوع يتخذ في جحره موضعاً يقال له النُّفَقة والنَّافِقاء يرققه؛ فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج، فمنه اشتق النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر[(٢)].

والذي يظهر -والله أعلم- ألا تعارض بين القولين ذلك أن مؤداهما واحد فهما -النفق والنافقاء- يرجعان إلى أصل واحد يدل على إخفاء الشيء وإغماضه[(٣)].

أما النفاق في الاصطلاح الشرعي: فهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر[(٤)].

وهو بهذا الاصطلاح اسم إسلامي لم تعرفه العرب قبل الإسلام، وإن كان الأصل اللغوي معروفاً قبل ذلك[(٥)].

---

(١) قال بهذا أبو عبيد وجماعة. انظر: لسان العرب (نفق) (١٠/٣٥٩).

(٢) قال به ابن فارس وغيره. انظر: معجم مقاييس اللغة (نفق) (٥/٤٥٤)، لسان العرب (الموضع السابق).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (الموضع السابق).

(٤) انظر: عارضة الأحوذي (١٠/٩٧)، التعريفات ص (٢٤٥)، النهاية (٥/٩٨)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٣٠٠).

(٥) انظر: النهاية (الموضع السابق)،مجموع الفتاوى (الموضع السابق)، لسان العرب (نفق) (١٠/٣٥٩).

المطلب الثاني: أقسام النفاق

لقد وردت النصوص بإطلاق النفاق على بعض الأعمال التي هي من جملة المعاصي، والتي لا تخرج المسلم من دائرة الدين بإجماع المسلمين.

كما جاءت بإطلاق النفاق على تلك العقيدة التي تخرج المرء عن الدين، والتي هي إظهار الإيمان وإبطان الكفر.

ومن هنا قال العلماء: إن النفاق ينقسم إلى قسمين:

الأول: النفاق الأكبر (الاعتقادي) وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وصاحبه خارج من ملة الإسلام، ومخلد يوم القيامة في نار جهنم.

الثاني: النفاق الأصغر (العملي) وهو التلبس ببعض صفات المنافقين أو أعمالهم كالكذب والغدر الخيانة... ونحو ذلك[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية v: "ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعاً واحداً، بل فيهم المنافق المحض، وفيهم من فيه إيمان ونفاق، وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق"[2].

وقال الحافظ ابن حجر v: "إن بعض النفاق كفر دون بعض، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه"[3].

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٤٦)، تحفة الأحوذي (١٠/٩٨)، تفسير ابن كثير (١/٧٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٥٢٣).

(٣) فتح الباري (١/٩٠).

وهـذا ظـاهر متقـرر -ولله الحمـد -ومـن أوضـح الأدلـة عليـه أن الصحابةgكانوا يخافون النفاق على أنفسهم كما قال ابن أبـي مليكـة v : "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي n كلـهم يخـاف النفـاق علـى نفسـه مـا منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل"[1]. ولم يكـن قصـدهم مـن ذلـك النفـاق الأكـبر لأن كـل واحـد مـنهم متـيقن مـن إيمانـه بـالله وتصديقه بالرسول n ، وإنما كانوا يخافون نفاق العمل وهـو أن يقـع المرء في شيء من خصال النفاق وأعماله[2].

وخصال النفاق وشعبه متفاوتـة ، ونصـيب المرء مـن النفـاق بحسـب نصيبه من هذه الخصال. عن عبدالله بن عمرو بن العـاصc عـن الـنبي n قال : (**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يـدعها : إذا أؤتمـن خـان ، وإذا حـدّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر**)[3].

وعن أبي هريرة z قال : قال رسول الله n : (**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق**)[4].

---

(١) رواه البخاري تعليقاً، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله (١/١٠٩) (فتح الباري).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٣٠٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (١/٨٩) (فتح الباري)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق (٢/٤٦) (شرح النووي).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب ذم من مات و لم يغز، و لم يحدث نفسه بالغزو برقم (١٩١٠).

المبحث الثاني

أسباب النفاق

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مرض القلب.

المطلب الثاني: الحرص على الدنيا.

المطلب الثالث: الجبن.

إنه ما من شك أن لكل ظاهرة أسباباً كانت وراء قيامها ؛ فإن الله تعالى أجرى هذا الكون على وفق سنن، فليس شيء يجري جزافاً بل ربط المسببات بأسبابها، والنتائج بمقدماتها.

ولو أن المرء قلب ناظريه في صفحات الكون العريض لرأى هذا الأمر حقيقة قدرية لا تتخلف أبداً.

وهو أيضاً حقيقة شرعية ثابتة بالوحي والتنزيل، شهرتها تغني عن ضرب المثال عليها، فدخول الجنة، ودخول النار، والسعادة في الدنيا، والشقاء فيها، وحلول العذاب على الأمم كل هذا ربط بأسبابه في النصوص.

والنفاق ظاهرة وحدث طارئ، لابد أن يكون له أسباب دعت إليه وحضت عليه سواء كانت أسباباً داخلية أو خارجية، نفسية أو مادية.. المهم أن هناك بواعث انتجت هذا الداء العضال.

وإن الثالوث الذي أودى بالمنافقين إلى هذه النتيجة هو أنهم أصحاب مصالح وزعامات، وحب للدنيا ورغبة فيها فلما جاء الإسلام وكان يحول بينهم وبين مطامعهم كرهوه وشرقوا به ؛ لما كان في قلوبهم من الفساد والظلمة، والانحراف والمرض، والجهل بالله تعالى وبشرعه وقدره، وكانوا أجبن من أن يصدعوا بحقيقة ما يعتقدون ويصرحوا بالكفر، فقادهم جبنهم إلى أن يَبْقوا على كفرهم دون أن يعلنوا به خشية على أرواحهم وأموالهم.

وفيما يلي نقف مع هذه الأسباب من خلال سورة التوبة.

المطلب الأول: مرض القلب

إن فساد قلوب المنافقين هو السبب الأول من الأسباب التي أورثتهم النفاق، وهو كما أنه صفة من صفاتهم فهو في نفس الوقت سبب لوقوع الداء، ولا غرابة في ذلك فقد تكون صفة السوء في المرء سبباً لاعتناقه مذهباً رديئاً، واتخاذه موقفاً حتى ولو كان على خلاف الحق.

وقد بيّن الله تعالى في كتابه أن هؤلاء المنافقين لما كانت قلوبهم عامرة بالفساد توالى عليها الفساد بعد ذلك لوجود القابلية، قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ ﴾[2] فهم إنما زادهم الله رجساً ومرضاً لأن في قلوبهم مرضاً[3].

كما أخبر سبحانه أنه إنما صرف قلوبهم عن الحق لأنه علم منها عدم صلاحها للهدى وعدم استعدادها لاستقباله، وهو تعالى يعلم

(١) التوبة:آية ١٢٤-١٢٥.

(٢) البقرة:آية ١٠.

(٣) انظر: روح المعاني (٢٤٢/١)، التحرير والتنوير (٢٧٩/١).

المفسد من المصلح ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[1].

وهذا صادر من العليم الحكيم، الذي يعلم مَنْ يصلح للهداية ويوليها حقها، ومَنْ لا يصلح لها ولا يستحقها ولا يقدرها حق قدرها، ولذا اقتضت حكمته تعالى أن لا تُعمر قلوبهم بالهدى لعدم أهليتهم واستحقاقهم كما قال تعالى فيهم وفي إخوانهم: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2].

فاعتقاد المنافقين الفاسد بالله تعالى وصفاته، وشرعه وقدره، وظنهم السيء به تعالى، وما انطوت عليه قلوبهم من التكذيب له سبحانه وبغض شرعه ومناوأة رسوله n، وعدم صدقهم معه تعالى وعدم وفائهم بما عاهدوه عليه ولَّد النفاق في قلوبهم ورسخه، وزاده ومكَّنه، وجعل هذه القلوب أمكنة صالحة لاستقراره فيها واستمراره، ونمو أعراضه وأمراضه.

يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ

(١) التوبة:آية ١٢٧.

(٢) الأنفال:آية ٢٢-٢٣.

يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[1] .

إن إخلافهم الله ما وعدوه، وكذبهم فيما عاهدوه هو الذي سبب لهم النفاق أو زاده في قلوبهم، فالباء في قوله: ﴿ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ للسببية أو التعليل[2]، وذاك الإخلاف والكذب ناتج عن مرض القلب وفساده فما هي إلا مظاهر وظواهر دالة عليه منبئة عنه.

(١) التوبة: آية ٧٥-٧٧.

(٢) انظر: فتح القدير (٣٨٥/٢)، التحرير والتنوير (٢٧٣/١٠).

المطلب الثاني: الحرص على الدنيا

حب الدنيا أساس كل بلاء، والقلب المفتون بحب الدنيا الذي انصرف بكليته لها لا يصلح أن يكون عبداً لله؛ لأنّه معبدٌ لغيره.

وحين نُلقي نظرة على نشأة حركة النفاق، وكيف بدأت نُبصر أنهم مجموعة من البشر شَرِقوا بالإسلام وجهلوا حقائقه ولم يذوقوا لذته، وهم أصحاب دنيا وزعامات ووجاهة بين أقوامهم وعشيرتهم فخشوا إن بقوا على الكفر أن يَفقدوا دنياهم وجاههم بين أقوامهم الذي دخلوا في الإسلام، فرأوا أن السلامة وحب الكسب يقتضيان أن يدخلوا في الإسلام ظاهراً ويكيدوا له من الداخل بعد أن عزَّ عليهم أن يكيدوا له بوضوح وعلانية.

وفي القرآن الكريم قصَّ الله تعالى علينا نبأ هؤلاء كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[1].

هكذا كان الحرص على الدنيا والتكالب عليها وإيثارها على ما عند الله تعالى سبباً في وقوع النفاق في قلوبهم أو زيادته، ولا غرو فإن

(١) التوبة:آية ٧٥-٧٧.

المرء الذي تمكنت الدنيا من نفسه ودخلت شغاف قلبه قد صرف العبودية أو شعبة منها إليها، ولذا فهو يَعِد فيخلف، ويتحدث فيكذب، وإذا أؤتمن خان أمانته، وإذا خاصم فجر في خصومته، وإذا دُعي إلى الجهاد والنصرة ولم يكن له في هذا الخروج مكسب مادي أو مطمع دنيوي تخلف وتقاعس ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾[1].

والطول: الغنى والسعة[2]، والتنصيص في الآية على صفة المتخلفين بأنهم من أصحاب الغنى والسعة لفائدتين:

أولاهما: ليبين أن اعتذارهم ليس لأنهم لا يجدون ما ينفقون وما يتجهزون به للغزو والجهاد.

ثانيهما: أن من أسباب فتنتهم ومروقهم انشغالهم بدنياهم عن أخراهم، وأن سعتهم وثروتهم وفضل أموالهم لم يستخدم الاستخدام الذي أمر الله تعالى به، بل كان سبباً في تركهم الخير ووقوعهم في الشر، قال البقاعي v: "... إلى أن ختم القصة بأن أموالهم إنما هي لفتنتهم لا لرحمتهم ولمحنتهم لا لمنحتهم، اتبع ذلك بدليله من أنهم لا يتوصلون بها إلى جهاد ولا يتوسلون بها دار المعاد"[3].

(١) التوبة: آية ٨٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦١٦/١١)، البحر المحيط (٨٥/٥).

(٣) نظم الدرر (٥٦٩/٨).

وقد شبَّه اللهُ تعالى المنافقين بمن سلف من الأمم الهالكة حيث كانوا ﴿ أَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ ﴾[1] وأنتم أيها المنافقون مثلهم فما ثناكم عن الإيمان وأخركم عن التصديق إلا استعجال نصيبكم الدنيوي والاشتغال بالأموال والأولاد ﴿ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾[2].

ولما كان حب الدنيا والإغراق فيها على حساب الآخرة والعمل لها سبباً من أسباب النفاق حذر الله تعالى المؤمنين من الإعجاب بأموال المنافقين وأولادهم ومكاسبهم الدنيوية ومقدراتهم المادية في موضعين من السورة، فيجب أن لا تكون معياراً في حس المسلم يوماً من الأيام يقول تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[4].

---

(١) التوبة: آية ٦٩.

(٢) التوبة: آية ٦٩.

(٣) التوبة: آية ٥٥.

(٤) التوبة: آية ٨٥.

المطلب الثالث: الجبن

حين نعود لندرس ظاهرة النفاق من أصلها التاريخي نجد أنها نشأت أول ما نشأت حين بدأ الإسلام يقوى ويعتز، وخاف المنافقون وجبنوا فجنحوا إلى هذه الحيلة الرديئة والموقف الفاسد حقناً لدمائهم وحفظاً لأموالهم ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[1].

لقد هاجر الرسول n إلى المدينة أول الأمر والناس مؤمن أو كافر، لأنه لم يكن للرسول n قوة ولم يكن لأصحابه منعة فلما اعتز الإسلام بعد وقعة بدر بدأت حركة النفاق حين قال عبدالله بن أبي بن سلول: "هذا أمر قد توجه فلا مطمع في إزالته"، ثم أعلن بعد ذلك إسلامه[2].

يقول الحافظ ابن كثير v: "وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية، لأن مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه، من الناس من كان يظهر الكفر مستكرهاً وهو في الباطن مؤمن فلما هاجر رسول الله n إلى المدينة، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام، وبها اليهود من أهل الكتاب، فلما قدم رسول الله n المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تُخاف، بل كان عليه الصلاة والسلام وادع

(١) الحشر: آية ١٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧٢/١).

اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة، فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعلى الإسلام وأهله قال عبدالله بن أبي بن سلول وكان رأساً في المدينة وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا أن يملكوه عليهم فجاء الخير وأسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الإسلام وأهله فلما كانت وقعة بدر قال: "هذا أمر قد توجه" فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد، لأنه لم يكن أحدٌ يهاجر مكرهاً، بل يهاجر ويترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة"[1].

والسورة تبرز لنا هذا السبب في وجود ظاهرة النفاق وتعرضه بتصريح لا لبس فيه، يقول تعالى عن هؤلاء المنافقين: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ ولكن لِمَ كل هذا الكذب والحلف عليه؟ لِمَ كل هذا التلون والمداورة؟ وما الداعي له؟ ﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ [2].

يقول البقاعي v: "﴿ يَفْرَقُونَ ﴾ أي: يخافون منكم على دمائهم خوفاً عظيماً يُفرق همومهم، فهو الملجئ لهم إلى الحلف كذباً

---

(١) تفسير ابن كثير (٧٢/١) باختصار يسير.

(٢) التوبة: آية ٥٦.

على التظاهر بالإسلام"[1].

ويقول ابن عاشور v: "والفَرَق: الخوف الشديد[2]، واختيار صيغة المضارع في قوله: ﴿ وَيَحْلِفُونَ ﴾ وقوله: ﴿ يَفْرَقُونَ ﴾ للدلالة على التجدد وأن ذلك دأبهم.

ومقتضى الاستدراك أن يكون المستدرك: أنهم ليسوا منكم، أي: كافرون، فحذف المستدرك استغناء بأداة الاستدراك، وذكر ما هو كالجواب عن ظاهر حالهم من الإيمان بأنه تظاهر باطل وبأن الذي دعاهم إلى التظاهر بالإيمان في حال كفرهم هو أنهم يفرقون من المؤمنين، فحصل إيجاز بديع في الكلام إذ استغني بالمذكور عن جملتين محذوفتين"[3]. أ. هـ.

ولما كان الجبن هو الباعث على النفاق والمحرض عليه فإن المتأمل لهذه الظاهرة الجبانة (النفاق) يلحظ أنها بين مد وجزر، بين قوة وضعف، بين إعلان وإسرار، فكلما قويت شوكة المسلمين وعزت دولتهم انخذل النفاق وتوارى، وإذا ما ضعفت دولة المسلمين رفع عقيرته وأظهر شره وفتنته.

لقد بدأ النفاق في عهد رسول الله n قوياً إذ كانت الدولة ناشئة ولم

---

(١) نظم الدرر (٥٠٢/٨).

(٢) انظر: لسان العرب (فرق) (٣٠٤/١٠).

(٣) التحرير والتنوير (٢٣٠/٨)، وانظر: المحرر الوجيز (٤٥/٣)، التفسير الكبير (٧٧/١٦).

تكن بعد قوة مرهوبة، وكانت العرب ترميها عن قوس واحدة، وكان التعامل مع النفاق في تلك المرحلة على ضوء قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾[1] ثم لم تزل بعد تلك الظاهرة في انخفاض وتوارٍ بحسب قوة المسلمين، حتى كان آخر عهد الرسول n ورجوعه من تبوك وقدوم الوفود ودخول الناس في دين الله أفواجاً إذ كان النفاق وقتها في حالة احتضار، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية v: "فبدر كانت أساس عز الدين، وفتح مكة كانت كمال عز الدين، فكانوا قبل بدر يسمعون الأذى الظاهر ويؤمرون بالصبر عليه، وفي تبوك أمروا بالإغلاظ للكفار والمنافقين فلم يتمكن بعدها كافر ولا منافق من أذاهم في مجلس خاص ولا عام، بل مات بغيظه لعلمه بأنه يقتل إذا تكلم"[2].

وهؤلاء المنافقون –لجبنهم- يريدون أن يتخذوا موقفاً وسطاً –بظنهم- بين المؤمنين والكافرين ﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[3] فيقولون إن ظهر محمد n كنا معه وأصبنا مما أصاب، وإن تخطفته العرب لم نكن ألقينا بأنفسنا معه كما قال تعالى عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ

---

(١) الأحزاب: آية ٤٨.

(٢) الصارم المسلول ص (٢٢٠).

(٣) النساء:آية ١٤٣

نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ﴾[1].

فهذا أساس موقف المنافقين وهو موقف كما تشاهد يرتكز على ركيزة كبرى وهي : أنهم ليس عندهم من القوة ما يواجهون به الأحداث وليس عندهم من الشجاعة ما يجعلهم يعتقدون عقيدة الحق ويتحملون ما يصيبهم في سبيلها من مشاق.

(١) النساء:آية١٤١.

المبحث الثالث

أساليب المنافقين

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الكذب ومخادعة المؤمنين.

المطلب الثاني: إلقاء الخبال والإيضاع بين المؤمنين.

المطلب الثالث: الغدر.

المطلب الرابع: مسجد الضِّرار.

المطلب الأول: الكذب ومخادعة المؤمنين

الكذب سمة من سمات المنافقين، ووسيلة من أبرز وسائلهم التي يستخدمونها في محاولة النيل من الإسلام وأهله، إذ إن عملية النفاق لا تعدو في أصلها أن تكون نوعاً من الكذب، ولذا فهم لا يتورعون عن استخدام الكذب كوسيلة للوصول إلى مآربهم.

وحين تقرأ أحوال المنافقين في القرآن الكريم فإنه لا يكاد يخطئك وصفهم بالكذب، والإشارة في الآيات إلى أنه الأسلوب الأبرز الذي يستخدمونه للوصول إلى أغراضهم الرديئة.

فحجر أساس النفاق هو الكذب .. الكذب في الاعتقاد والإيمان .. الكذب في الفعل والتعامل .. الكذب في القول والخطاب .. كذب مع الله، وكذب مع الناس، وكذب مع النفس.

وفي أول موضع في القرآن الكريم ذُكر فيه المنافقون قال الله عنهم: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[1].

وفي سورة التوبة كثر الحديث عن كذب المنافقين، كذبهم على الله ورسوله n في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ

(١) البقرة: آية ١٠.

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾[2].

كما ذكرت الآيات كذبهم على عباد الله في مواضع متعددة كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا

---

(١) التوبة: آية ٩٠.

(٢) التوبة: آية ٧٧.

(٣) التوبة: آية ٤٢ -٤٣.

(٤) التوبة: آية ٦٢.

(٥) التوبة: آية ٧٤.

تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾(٢) .

والسورة الكريمة تعرض كذب هؤلاء المنافقين في مجالات أربعة :

١- في ادعائهم الإيمان مع إبطانهم الكفر، يقول تعالى: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾(٣).

فهؤلاء المنافقون يزعمون أنهم لم يكفروا ولم يقولوا من الكلام ما يحبط أعمالهم ويخرجهم عن الإسلام إلى الكفر ويؤكدون هذه المزاعم الكاذبة بالأيمان الفاجرة، ويأتي الجواب على

(١) التوبة: آية ٩٣-٩٦.

(٢) التوبة: آية ١٠٧.

(٣) التوبة: آية٧٤.

كذبهم: ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ مؤكداً بالقسنم ليكون تكذيب قولهم مساوياً لقولهم في التأكيد[1].

فهم قد كفروا بعد إسلامهم، وسواء كان هذا الإسلام يراد به أنهم أظهروا الإسلام في الصورة أو يراد به إسلاماً حقيقياً كفروا بعده، فالنتيجة أنهم كفار مع زعمهم خلاف ذلك.

٢- كذبهم في ادعاء الولاء للمؤمنين وهم ضد ذلك، فليسوا من المؤمنين وليس المؤمنون منهم يقول تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾[2].

فهم يدعون الولاء للمؤمنين ويزعمون أنهم معهم يناصرونهم ويساعدونهم ويعيشون آمالهم وآلامهم، وهم في كل ذلك كاذبون، فلاهم من المؤمنين وليسوا من الحزب الموحدين، فليست عقيدتهم عقيدة المؤمنين، وليست أعمالهم أعمال المؤمنين، وليست أخلاقهم أخلاق المؤمنين، فالفريقان متمايزان كل التمايز مفترقان كل الافتراق.

٣- حين يُدعون إلى أعمال البر فيقعدون عنها ويتخلفون، ثم يختلقون الأعذار الكاذبة ليعرض عنهم المؤمنون ويقبلوا منهم.

ولما كان نزول سورة براءة مصاحباً لغزوة تبوك وجاء ذكر هذه

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٦٨/١٠).

(٢) التوبة: آية ٥٦.

الغزوة وأحداثها ومواقف المنافقين فيها مفصلاً في أثناء هذه السورة جاءت الإشارة المتكررة إلى تخلف المنافقين عن الخروج للجهاد وقعودهم خلاف رسول الله ثم اختلاقهم الأعذار الكاذبة ليعرض عنهم الرسول n والمؤمنون ويقبلوا منهم، قال تعالى:﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[2] .

فهم ربما اعتذروا قبل الخروج كاذبين، وربما قعدوا دون استئذان من النبي n فإذا رجع انطلقت ألسنتهم بالأعذار الكاذبة والأيمان الحانثة.

(١) التوبة: آية ٤٢.

(٢) التوبة: آية٩٤-٩٦.

والآية تعلّم المؤمنين أن يكونوا أكياساً فطنين لا تنطلي عليهم ألاعيب المنافقين ولا تخدعهم أكاذيبهم ﴿ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ ﴾ أي: لن نُصدّقكم، والعلة في ذلك: ﴿ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ ﴾ [1]، فقد أضحت أخباركم وصفاتكم ظاهرة واضحة، وأصبحتم معروفين عند المؤمنين حتى ولو زعمتم غير ذلك ﴿ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ [3].

فهم إن دُعوا إلى الجهاد بالنفس جبنوا، وإن دُعوا إلى الجهاد بالمال بخلوا، وفي كلا الحالتين يختلقون المعاذير ويفترون الأكاذيب ليُعذروا في هذا النكوص عن القيام بما أمر الله تعالى به.

٤- كذبهم لتبرير أعمالهم الفاجرة وأفعالهم الظالمة، يقول تعالى: ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٧/١١).

(٢) محمد:آية ٣٠

(٣) التوبة:آية ٧٥-٧٧.

لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[1].

عن قتادة v: قال: "ذُكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال: والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، ولئن كان ما يقول محمد حقاً لهم شر من الحمر، فسمعها رجل من المسلمين فقال: والله إن ما يقول محمد لحق ولأنت شر من الحمار، فسعى بها الرجل إلى نبي الله n فأخبره فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال: **(ما حملك على الذي قلت؟)** فجعل يلتعن[2] ويحلف بالله ما قال ذلك، وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صدّق الصادق وكذّب الكاذب، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴾[3].

وفي قصة مسجد الضرار عندما قاموا بما قاموا به من بناء المسجد محادة ومحاربة لله ولرسوله n ومعاونة ومظاهرة للمشركين والكافرين وبعد أن فضح الله تعالى أمرهم وأبان كيدهم وهتك سترهم انطلقت ألسنتهم الفاجرة بالأيمان الكاذبة: ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ ﴾[4].

(١) التوبة: آية ٦١-٦٢.

(٢) أي: يلعن نفسه. انظر: النهاية (٤/٢٥٥).

(٣) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (٧/٤٢٣).

(٤) التوبة: آية ١٠٧.

وهذا الكذب والتمويه إنما كان من وسائلهم لأنهم بذلك يدسون السم في الدسم ويموهون على السذج والبسطاء ويوهمونهم بأنهم مخلصون ساعون في التجديد والإصلاح وهم بضد ذاك.

وتلك عادة المنافقين في لبس الحق بالباطل والهدى بالضلال، وقد قص الله تعالى علينا نبأهم في أول سورة البقرة حين قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[1]، وقد جيء في الرد عليهم ووصفهم بالإفساد بمجموعة من المؤكدات والمحسنات وهي:

١- حرف التنبيه (ألا).

٢- الإتيان بـ(إن) المؤكدة.

٣- تأكيد قصر الفساد عليهم بضمير الفصل ﴿ هُمُ ﴾.

٤- تعريف المسند ﴿ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ يفيد القصر، فكأنهم هم المفسدون دون غيرهم[2].

وفي آية سورة التوبة ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ جيء بمجموعة من المؤكدات في الرد عليهم وهي:

١-الابتداء بلفظ الجلالة فيه مزيد اعتناء وبيان أن الذي يشهد على

---

(١) البقرة:آية ١١-١٢

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٨٥/١).

كذبهم هو الله تعالى وهو أصدق الشاهدين.

٢- الإتيان بـ ﴿ إِنَّ ﴾ المؤكدة.

٣- التأكيد باللام في قوله: ﴿ لَكَـٰذِبُونَ ﴾.

٤- لم يأت وصفهم بالكذب مجرداً أو القول بأنهم كاذبون، وإنما أتى به على صيغة الشهادة من أعظم الشاهدين جل وعلا.

والمنافقون يسلكون في تنفيذ مخططاتهم أساليب ملتوية وطرقاً مريبة يحسبها ضعاف البصيرة خيراً وهي تحمل السم الزعاف، ولعل هذا يتبين حين اختاروا المسجد ليكون منطلقاً لإفسادهم، والمسجد في الحس الإسلامي شعار للبر ومكان لاجتماع المؤمنين على الخير، وبناؤه قربة لله تعالى فاختاروه ليظن الظان أنهم يريدون الحسنى فقط.

والله تعالى حين يخبرنا عن ذلك لا يخبرنا عنه لأنه قصة مضت وانقضت، ولكن لأنه سمة من سمات المنافقين ووسيلة من وسائلهم في كل زمان ومكان، فما يعملون عملاً من أعمالهم التخريبية إلا ويضفون عليه من البهارج القولية والفعلية ما يُلبسه ثوب الإصلاح والخير وهو مجانب لذلك، يقلبون الحقائق ويسمون الأشياء بغير اسمها، والمتأخرون من المنافقين يسيرون على درب المتقدمين: "فإذا قال الأولون: ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1]، أو ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾[1] أو﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ

(١) التوبة: آية ١٠٧.

إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾[2] وغير ذلك من الأقوال المعسولة والكلمات الجميلة يقول الآخرون: إن أردنا إلا المصلحة الوطنية أو كسب الرأي العام العالمي أو في سبيل المصالح القومية أو مراعاة القوانين الدولية والأساليب المتحضرة إلى غير ذلك"[3].

وهؤلاء المنافقون إنما أرداهم في هاوية النفاق السحيقة تخليهم عن الصدق وجنوحهم إلى الكذب في تعاملهم وسلوكهم، وفي اعتذارهم من الرسول n ﴿ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[4]، وفي المقابل فإن الذي أنجى المؤمنين الذين تخلفوا عن الغزو لتكاسل وتهاون هو صدقهم كما قال كعب بن مالك z –وهو أحد المتخلفين عن تبوك: "يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت"[5].

ولما كانت السورة تعرض لهذين الأنموذجين المختلفين المفترقين جاء التوجيه الرباني في ختامها آمراً بالصدق وحاثاً عليه ومرغباً فيه، ليس هذا فقط بل وآمراً بملازمة أهله وصحبتهم وعدم الركون إلى غيرهم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) المائدة: آية ٥٢.

(٢) النساء: آية ٦٢.

(٣) المنافقون في القرآن الكريم ص(١٣١).

(٤) التوبة: آية ٩٠.

(٥) رواه البخاري، كتاب المغازي (١١٣/٨)، (فتح الباري)، ومسلم، كتاب التوبة (٩٧/١٧) (شرح النووي).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[1] .

وحين ننظر ما الذي دعا المنافقين لاتخاذ هذا الأسلوب وانتهاج هذا المسلك ندرك أنه بسبب الضعف، فالكذب مصاحب للضعف أبداً، وما يكذب إلا الضعفاء ولو بدوا في صورة الأقوياء، فالقوي يواجه والضعيف يداور.

(١) التوبة:آية ١١٩.

المطلب الثاني: إلقاء الخبال والإيضاع بين المؤمنين

كان المسلمون في غزوة تبوك يحبون أن يخرج معهم المنافقون ليستكثروا بهم ويستعينوا بهم على أعدائهم، فلما خرج رسول الله n من المدينة إلى تبوك ضرب عسكره بظاهرها، وضرب عبدالله بن أبي بن سلول عسكره أسفل منه ولم يكن بأقل العسكرين، فلما سار رسول الله n تخلف عنه عبدالله بن أبي بن سلول ومن معه من المنافقين فشق ذلك على بعض المسلمين ووجدوا في أنفسهم، يقول الله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1][2]، يبيّن سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين أن خذلانه لهؤلاء المنافقين وعدم توفيقه لهم للخروج مع المسلمين للغزو لحكمة يعلمها تعالى وهي أنهم لا نفع فيهم ولا غناء، بل هم عبء على المسلمين وداء على المجاهدين، يسعون في توهينهم وزعزعة الثقة في قلوبهم ونشر الشائعات بين صفوفهم، ومن كانت هذه صفته فلا شك أن تخلفه عن الخروج خير للمسلمين.

والخبال هو: الشر والفساد[3].

---

(١) التوبة: آية ٤٧.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٧٣/٤)، الدر المنثور (٣٩٣/٧).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢٦١/١)، معاني القرآن للزجاج (٤٥١/٢)، زاد المسير (٤٤٧/٣).

وقولـه: ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾الإيضـاع: الإسـراع[1]، والمعنـى: "ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة"[2].

وقد بينت الآية الكريمة أنهم إنما يسلكون هذه الطرق ويستخدمون تلك الأساليب لأنهم يريدون لكم الفتنة ﴿ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ ﴾[3].

وقـد نقلـت لنـا كتـب التفسـير والسـير بعـض صـور الإرجـاف والإيضاع التي قام بها المنافقون في غزوة تبوك، فمن ذلك قول بعضهم للمسلمين: "أتظنون أن جلاد بني الأصفر كجلاد غيرهم، والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال"[4].

ويقول آخر: "لا تنفروا في الحر"[5].

وكـان بعضـهم يجتمـع إلى بعـض في دورهـم يثبطـون النـاس عـن رسول الله n في غزوة تبوك[6].

صـور متعـددة للتثبيط والتـوهين، وإلقـاء الخبـال والإيضـاع بـين المؤمنين لا تصدر إلا من قلوب واهنة قد أخذ الكسل والجبن منها كل مأخذ.

---

(١) انظر: مجاز القرآن، معاني القرآن للزجاج (الموضعين السابقين).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٠٠)، وانظر: الكشاف (٣٠/٥١)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٧).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٤٠)، المحرر الوجيز (٣/٤١).

(٤) رواه ابن مردويه من حديث ابن عباس وابن مسعود C كما في الدر المنثور (٧/٤٢٨) وذكره ابن إسحاق في السيرة. انظر: سيرة ابن هشام (٤/١٧٩).

(٥) راجع ص (٤١).

(٦) راجع ص (٤١).

وقد قالوا مثل هذا في غزوة الأحزاب وأكثروا وأرجفوا بالمسلمين أيما إرجاف، كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2].

ومثل هذا حصل منهم في غزوة أحد والمريسيع وحادثة الإفك وغير ذلك.

ولو ذهبنا نستقصي صور إرجافهم بالمسلمين لطال بنا المقام، ولكن ما السبب في مثل هذا التثبيط والتوهين الذي يقوم به المنافقون؟

إنه -ولا شك- له أسباب متعددة تلتقي حول أمرين:

الأول: ما اتصف به هؤلاء من صفات فاسدة كالجبن والكذب ونحوها مما ينتج مثل هذه التصرفات ويولد مثل هذه المواقف، فهي طبيعة في الجبان أن يترآى الموت أمامه فيرجفُ فؤادُه فيُرجف بمن حوله، وطبيعة في الكذاب أن ينقل ما يتخيله في عقله أو يبلغه عن مفترٍ مثله على أنه حقائق ثابتة وأمور واقعة فيشيع الشائعات وتحصل المفاسد.

الثاني: أن من أهدافهم إدخال الضرر على المسلمين من كل باب وفي أي مجال، وهذا باب من أبواب الضرر تجدهم يلجونه كلما حانت

---

(١) الأحزاب: آية ١٢.

(٢) الأحزاب: آية ١٨.

لهم فرصة، وقد قال الله تعالى عنهم ﴿ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾[1]، فمهما تيسر لهم إيقاع المؤمنين في الفتنة فهو ما يطلبونه لهم وما يريدونه منهم.

فَعَمَلُ المنافقين نشرٌ للفساد والإفساد، وتوهين وتثبيط، وإلقاء للخبال في كل مجال وعلى كل صعيد، وهم يسلكون في ذلك شتى الطرق والوسائل والتي لعل أبرزها:

١- تشكيك المؤمنين في الحقائق الشرعية الثابتة كصدق الرسول n وصحة ما يدعو إليه، وذلك مثل قول الجلاس بن سويد[2] في غزوة تبوك: "والله لئن كان محمد صادقاً لنحن شرٌ من الحمير" مبالغة في تكذيب النبي n فأنزل الله في ذلك: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾[3][4].

وقال زيد بن اللُّصَيت القينقاعي -وكان منافقاً- حين ضلت ناقة النبي n في أثناء الطريق إلى تبوك: "أليس محمد يزعم أنه نبي

---

(١) التوبة: آية ٤٧.

(٢) والجلاس Z ممن تاب وحسنت توبته.
انظر: سيرة ابن هشام (٤/٢٠٥)، الاستيعاب (١/٢٦٥، ٣/١٢١٥-١٢١٦)، تفسير الطبري (١٤/٣٦٨).

(٣) التوبة: آية ٧٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/٣٦١)، تفسير البغوي (٤/٧٤)، زاد المسير (٣/٤٧٠)، دلائل النبوة للبيهقي (٥/٢٨١).

ويخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته"[1].

٢- تشكيك المؤمنين بنصر الله تعالى لعباده الصادقين، ودحره -سبحانه- للمبطلين الذين يسعون في الأرض فساداً، عن قتادة قال: "بينما رسول الله n في غزوته إلى تبوك وبين يديه أناس من المنافقين، فقالوا: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات هيهات، فأطلع الله نبيه على ذلك، وأنزل فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[2].

٣- نشر الشائعات التي لا تقوم على أساس الحقيقة، وليس لها رصيد من الواقع، والسعي بين المؤمنين بالنميمة والفساد؛ ليدخلوا بذلك الاضطراب في قلوب المؤمنين وينزعوا الثقة من نفوسهم، وذلك مثل اختراعهم لقصة الإفك واتهام عائشة x بما برأها الله منه.

٤- استغلال أوقات الأزمات والشدة لنفث سمومهم وإلقاء أباطيلهم ومفترياتهم، وهذا ظاهر في كلِ آيات هذه السورة، وأحداثِ

---

(١) انظر: السيرة البنوية لابن هشام (١٧٧/٤).

(٢) التوبة: آية ٦٥-٦٦.

غزوة تبوك وما جرى حين الاستعداد لها والمسير إليها.

٥- تخويف المؤمنين من أعدائهم وتضخيم قواتهم وقدراتهم ليقع الرعب في قلوب المؤمنين وتضطرب بذلك صفوفهم كما كانوا يقولون في تبوك: "أتظنون أن جلاد بني الأصفر كجلاد غيرهم، والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال"(١) (٢).

٦- السعي في إيذاء المؤمنين والاستهزاء بهم بكل طريق، فكانوا يقولون عن النبي n: "هو أذنٌ مَنْ حدَّثه شيئاً صدقه، نقول ماشئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا" فأنزل الله: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾(٣)(٤).

وفي الطريق إلى تبوك قال بعضهم: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء" فأنزل الله فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾(٥)(١).

---

(١) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ. انظر: الدر المنثور (٤٢٦/٧).

(٢) راجع ص (٣٠٠).

(٣) التوبة: آية ٦١.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي ص(٢٥٤)، تفسير البغوي (٦٧/٤)، السيرة النبوية لابن هشام (٢٠٤/٤)، تفسير ابن كثير (١١٠/٤).

(٥) التوبة: آية ٦٥-٦٦.

وكانوا يلمزون المؤمنين المتصدقين، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي مسعود z قال: "لما أُمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾... الآية"[2].

٧- التثبيط عن الخير، والتوهين عن البر والجهاد، والأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف؛ فمن ذلك أن بعضهم كان يقول قبل الخروج لتبوك: "لا تنفروا في الحر" فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾[3][4]، وكان بعضهم يجتمع إلى بعض في دورهم يثبطون الناس عن رسول الله n في غزوة تبوك[5].

---

(١) رواه ابن جرير بسند صحيح من حديث ابن عمر C (١٤/٣٣٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ برقم (٤٦٦٨)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحمل أجرة يتصدق بها.. برقم (٧٢).

(٣) التوبة: آية ٨١.

(٤) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق (١٤/٤٠٠).
وانظر: زاد المسير (٣/٤٧٨)، تفسير ابن كثير (٤/١٢٩).

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٠٥).

وهؤلاء المنافقون إنما يصلون إلى مبتغاهم من إلقاء الخبال والإيضاع بين المؤمنين حين يكون في المؤمنين من لم يتأدب بأدب القرآن فيستمع إليهم ويأخذ عنهم ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ﴾[1][2].

وهذا ما يجب أن يراجعه المؤمنون مِنْ منطلق: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾[3] وقوله: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾[4].

إنهم لا يُؤتون مِنْ قِبَل أعدائهم، ولكنهم يُؤتون مِنْ ضَعْفِ نفوسهم وتفريطهم في جنب الله.

---

(١) التوبة: آية ٤٧.

(٢) اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ﴾ على قولين:

الأول: أن في المؤمنين من يطيع المنافقين ويستحسن كلامهم ويأخذ عنهم وإن كان لا يعلم حالهم، وبه قال قتادة، وابن إسحاق، وابن كثير وغيرهم.

الثاني: أن من بينكم منافقين عيون يسمعون الأخبار وينقلونها لرؤسائهم، وبه قال مجاهد، وابن زيد، وابن جرير وغيرهم.

انظر: تفسير الطبري (٢٨١/١٤)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٣١٤/٢)، زاد المسير (٤٤٨/٣)، الكشاف (٥١/٣)، تفسير ابن كثير (١٠٠/٤).

(٣) آل عمران:آية ١٦٥.

(٤) الشورى:آية ٣٠.

المطلب الثالث: الغدر

أَيُّ غدر أعظم من أن يعيش المرء بين ظهراني قوم يُظهر لهم خلاف ما يبطن، يكرههم ويبغضهم وهو يتصنع لهم ضد ذلك.

هذه حال المنافق فأصل عمله غدر، وهو مع ذلك لا يفتر عن الغدر بالمسلمين إذ هي سجية لازمة وقد قال n في عدِّ صفات المنافق: (**وإذا عاهد غدر**)[١].

والسورة تعرض لنا مشهداً من أعظم مشاهد الغدر عند المنافقين، إنه الغدر الآثم بحياة الرسول n، يقول تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ ... الآية ﴾[٢].

وقد جاء أن سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ ﴾ حين تآمر مجموعة من المنافقين على الفتك بالنبي n حين كان قافلاً من تبوك فأخذ n العقبة وأمر الناس أن يأخذوا بطن الوادي، فجاؤوا متلثمين خلف النبي **n** ليدفعوه من العقبة، فلما سمع النبي n أصواتهم غضب وأمر حذيفة أن يردهم، فضرب وجوه رواحلهم فارتدوا على أعقابهم، ثم أسرعوا حتى دخلوا في الناس[٣].

---

(١) سبق تخريجه ص (٢٧٣).

(٢) التوبة: آية ٧٤.

(٣) رواه الإمام أحمد (٤٥٣/٥) برقم (٢٣٨٤٣)، والبيهقي في الدلائل، باب رجوع النبي n من تبوك (٢٥٦/٥) عن أبي الطفيل. ولهذه القصة شاهد عند الإمام مسلم، كتاب صفات المنافقين، رقم (٧٠٣٧). انظر: تفسير ابن كثير (١٢٢/٤).

يبين لنا تعالى هذه الجريمة الشنيعة مع إحسانه لهم وتفضله عليهم ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ ﴾ وهنا يزداد قبح الغدر وبشاعته أن تحاول أن تأتي على اليد التي امتدت لتطعمك فتقطعها.

وكأن المشهد يبين لنا أن هؤلاء المنافقين لا ينفع فيهم المعروف، ولا تأسرهم الحسنة، بل قد طبعوا على الغدر والخيانة.

فالمنافق يسلك كل الطرق ويستخدم كل الوسائل للنيل من الإسلام وأهله لا يفرق في هذا السبيل بين ما هو مشروع وغير مشروع، والغدر أحد الأساليب التي يمتهنها المنافق ويجيدها لأنها من أبرز صفاته وأوضح سجاياه التي طبع عليها، وإذا كانت السورة قد أنبأتنا عن صورة من صور غدرهم وهي محاولة الفتك بالنبي ﷺ؛ تلك الصورة العظيمة الشنيعة فإنهم لا يستغرب منهم ما هو أقل من ذلك وأدنى، فإذا استساغت نفوسهم وتجرأت قلوبهم على هذه الجريمة النكراء فهم على ما سواها أجرأ.

المطلب الرابع: مسجد الضّرار

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

قال ابن كثير v: "سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله n إليها رجل من الخزرج يقال له: أبوعامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير فلما قدم رسول الله n مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر شَرِق اللعينُ أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها،

---

(١) التوبة:آية ١٠٧-١١٠.

وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالؤهم على حرب رسول الله n ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أُحد ، فكان من أمر المسلمين ما كان ، وامتحنهم الله عز وجل وكانت العاقبة للمتقين ، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع في إحداهن رسول الله n وأصيب ذلك اليوم فجُرح وجهه وكُسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوت الله وسلامه عليه ، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا : لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق يا عدو الله ! ونالوا منه وسبوه ، فرجع وهو يقول : والله لقد أصاب قومي بعدي شر ، وكان رسول الله n قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه القرآن فأبى أن يسلم فدعا عليه رسول الله n أن يموت بعيداً طريداً فنالته دعوة رسول الله n ، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر رسول الله n في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي n فوعده ومنَّاه وأقام عنده ، وكتب إلى جماعة من قومه الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله n ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك ، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه ، وفرغوا منه قبل خروج الرسول n إلى تبوك ، وجاءوا رسول الله n يسألونه أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم فيحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته ، وذكروا أنهم إنما

بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله تعالى من الصلاة فيه فقال: إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله، فلما قفل n راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوماً أو بعض يوم نزل جبريل بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم -مسجد قباء- الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله n إلى ذلك المسجد مَنْ هدمه قبل مقدمه المدينة"[1].

ذلكم هو مسجد الضرار؛ معقل المنافقين ومكان دسائسهم ومؤتمراتهم لمؤامراتهم، وقبل أن نشرع في بيان ما أرادوا من هذا المسجد نشير إلى أنهم يستغلون مجموعة من الظروف للوصول إلى ما يهدفون إليه في مثل تلك الأعمال؛ ومن أبرز ذلك:

أولاً: سماحة الإسلام وعدالته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[2]. ومن عدل الإسلام أن جعل الحكم على الظاهر أما البواطن فهي لله يحاسب أصحابها عليها بما شاء.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٤٨/٤).

وراجع: تفسير الطبري (٤٧٢/١٤)، الدر المنثور (٥٢٢/٧)، السيرة النبوية لابن هشام (١٠٨/٢).

(٢) المائدة: آية ٨.

ثانياً: سماحة الحاكم وحلمه وكرم أخلاقه، وعفوه عن الناس، وكراهيته للفتنة، وحبه السلامة بين المسلمين، أو انشغاله بأمور غاية في الأهمية من أمور الدعوة والإصلاح ونحوها.

ثالثاً: ارتباط الفعل الذي يدعون إليه –تمويهاً– بأصل من أصول الإسلام أو فرع من فروعه، ولذا تجدهم هنا يتذرعون بالمسجد، ويسترون جرائمهم فيه إمعاناً في التضليل وذراً للرماد في العيون[1].

أما ما أراد هؤلاء من بنائهم لهذا المسجد، فهو بالإضافة إلى أنه ضرب من ضروب كفرهم يقصدون به مضارة المؤمنين بالإضافة إلى ذلك فقد أخبرنا الله تعالى عما أرادوا منه بقوله جل وعلا: ﴿ وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾ فهم أرادوا الوصول إلى هدف من أهدافهم –وهو في ذات الوقت وسيلة من وسائلهم– وهو التفريق بين المؤمنين والإرصاد لمن حارب الله ورسوله.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾ فيحق لنا أن نعتبره من وسائلهم لأنهم بذلك يدسون السم في الدسم ويموهون على السذج والبسطاء، وقد مضى الحديث عن ذلك في مبحث: الكذب ومخادعة المؤمنين بما أغنى عن إعادته، وأما هنا فسنعرض لما أرادوا من مسجد الضرار وهو:

(١) انظر: المنافقون في القرآن الكريم، محمد يوسف حسن، (ص٢٣٧-٢٣٨) بتصرف.

١- التفريق بين المؤمنين.

٢- التعاون مع الكفار.

أولاً: التفريق بين المؤمنين:

لقد كان من حِكَم بناء المساجد تحقيق مقصد من مقاصد الإسلام وهو أن يجتمع المسلمون فيتعارفون ويتآلفون ويتحابون دون عنصريات أو قوميات، وأعظم ما يجمع المسلمين في المسجد صلاة الجماعة، التي كان المنافقون لا يحرصون عليها ولا يحتفون بها لأنهم لا يدركون هذه الغاية العظيمة ولا ينشدونها ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾[1].

ولقد كان من أول الأعمال التي قام بها رسول الله n حين قدم المدينة عملان جليلان هما:

١- بناء المسجد.

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

والعملان جميعاً يسهمان في جمع كلمة المسلمين وتقوية الروابط بينهم. ولم يكن رسول الله n يكثر من بناء المساجد في كل حي ودار؛ لأن المراد من المسجد أن يجتمع المسلمون جميعاً ليتعارفوا ولتكون كلمتهم واحدة فيكونوا كالبنيان المرصوص[2].

---

(١) التوبة: آية ٥٤.

(٢) قال الفقهاء: لا يجوز بناء أكثر من مسجد في البلد الواحد أو الحي الواحد إلا مع وجود الحاجة. انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٥٤/٨).

هذا هو الهدف من المسجد، وهذه هي الغاية النبيلة التي من أجلها أنشيء، ثم جاء المنافقون بعد ذلك فأنشأوا مسجدهم ليفتوا في عضد المسلمين وليفرقوا كلمتهم وليشتتوا جماعتهم، قال سعيد بن جبير: "ذكر أن بني عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً -يعني: مسجد قباء- فلما رأى ذلك إخوتهم بنو غَنم بن عوف[1] حسدوهم، فقالوا: نبني نحن أيضاً مسجداً كما بنى إخواننا فنرسل إلى رسول الله n فيصلي فيه، ولعل أبا عامر أن يمر بنا فيصلي فيه، فبنوا مسجداً، فأرسلوا إلى رسول الله n أن يأتيهم فيصلي في مسجدهم كما صلى في مسجد إخوتهم.."[2].

وعن السدي v في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا ﴾ قال: ضاروا أهل قباء ﴿تَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال: فإن أهل قباء كانوا يصلون في مسجد قباء كلهم، فلما بني ذلك أقصر عن مسجد قباء من كان يحضره وصلوا فيه"[3].

إنه إن كان الاجتماع مقصداً من مقاصد الإسلام، فالتفريق هدف من أهداف المنافقين، وذلك أنه لا يتسنى لهم تحقيق مآربهم والوصول إلى غاياتهم والمسلمون بناء واحد وأمرهم جميع، بل لابد من تفريقهم

---

(١) بنو عمرو بن عوف وبنو غنم بن عوف، بطنان من الخزرج. انظر: نهاية الأرب ص (٣٣٥، ٣٤٢).

(٢) أخرجه ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٥٢٤/٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (٥٢٦/٧).
وانظر: الكشاف (٩٢/٣)، المحرر الوجيز (٨٢/٣)، التفسير الكبير (١٥٣/١٦).

حتى يسهل القضاء عليهم ويمكن إدخال الضعف فيهم.

وهذا هو دأب المنافقين في كل زمان ومكان يسعون للتفريق بين المؤمنين كما كان أسلافهم من قبل كما قال الله عنهم: ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾[1]، أي: أنهم يمشون بين المؤمنين بالنميمة والبغضاء ليفرقوا بينهم[2].

وقد قال الله تعالى في صفات هؤلاء المنافقين وغيرهم من الكفار: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾[3]

يقول الشيخ عبدالرحمن الدوسري v: "وأعظم صلة يأمر الله بوصلها هي صلة العقيدة الإسلامية والأخوة الإيمانية بين جميع البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم وتباعد أقطارهم، والجناية على هذه الصلة فضلاً عن قطعها تكون أعظم من كل جريمة، والعامل على فتنة المسلمين عن هذا المبدأ الأخوي العام إلى أخوة محدودة مقصورة على عنصر أو بلد فإن جريمته أشد من القتل وأكبر، ويكون عمله قرة عين أعداء الإسلام من اليهودية العالمية وأذيالها"[4].

---

(١) التوبة: آية ٤٧.

(٢) راجع ص (٢٩٩).

(٣) البقرة: آية ٢٧.

(٤) النفاق آثاره ومفاهيمه ص (٥٧).

ثانيا: التعاون مع الكفار:

لقد كان من مقاصد المنافقين حين بنوا مسجد الضرار أن يكون مأوى لمن حارب الله ورسوله كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾[1]. أي أنهم أقاموا المسجد إعداداً وتهيئة لأبي عامر الفاسق الذي كان قد حارب الله ورسوله من قبل في أحد والخندق وغيرها[2].

والقرآن الكريم يبين لنا هذا الأسلوب من أساليب المنافقين للوصول إلى مآربهم وهو التعاون مع الكفار؛ مشركين كانوا أو أهل كتاب، ذلك أن المنافق ساع للنيل من الإسلام وأهله والكيد لهم بكل سبيل والمكر بهم في كل طريق وذلك أمر يعجز عنه في كثير من الأحيان فيستعين بأوليائه في الكفر والضلال.

ولذا دائماً ما يقرن في القرآن الكريم بين المنافقين والكافرين سواء في الدنيا أو في المصير والمآب كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ

---

(١) التوبة: آية ١٠٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٧٢/١٤)، تفسير ابن كثير (١٤٨/٤)، البحر المحيط (١٠٢/٥)، التحرير والتنوير (٣٠/١١).

(٣) التوبة: آية ٧٣.

ﭐلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ ﴾[2].

ولعل من أسباب هذا الجمع أنهم كانوا مجتمعين في الدنيا على الكيد للإسلام والمكر بأهله فجمع الله تعالى بينهم.

والمنافقون لا يتورعون أن يمدوا أيديهم لكل من يحارب الإسلام ويعادي أهله حتى ولو كانوا يختلفون معه في بعض الجوانب، مادام أنهم يلتقون على حرب الإسلام وأهله وتلك سمة الكفار جميعاً ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾[3].

والمنافقون -بصفة خاصة- يتصفون بذلك لأنهم مولعون بالمداهنة والمداورة والحرب الخفية والعلاقات المشبوهة.

والعلاقة بين الكفار والمنافقين قديمة قدم حركة النفاق، فقد أخبرنا الله تعالى عن موالاة المنافقين لليهود فقال سبحانه: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ

---

(١) النساء: آية ١٤٠.

(٢) الفتح: آية ٦.

(٣) الأنفال: آية ٧٣.

لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [1].

فهي ليست علاقة مجردة بل موالاة قديمة ونصرة مستديمة وإن كانت كاذبة بسبب جبن المنافقين –وهم كذلك دائماً– لكنها تحكي واقعاً وتصور وضعاً مستمراً وهو علاقة المنافق مع أخيه الكافر.

ولو ذهبنا لنستعرض تاريخ حركات النفاق طوال التاريخ الإسلامي لما أعيانا أن نلحظ التعاون الوثيق والعلاقات الوطيدة بين هؤلاء المنافقين وبين غيرهم من الكفار، ومن أمثلة ذلك الدور الذي قام به ابن العلقمي الرافضي المنافق في التعاون مع جيوش التتار بقيادة هولاكو وكيف سهل لهم الدخول إلى بغداد ويسر لهم أسباب الاستيلاء عليها بعد أن كانوا عاجزين عن ذلك فحصل من جراء ذلك سقوط الخلافة العباسية ووقع على المسلمين من أهل بغداد مقتلة لم يسمع التاريخ بمثلها[2].

وفي العصر الحديث قامت جماعات من يهود الدونمة الذين دخلوا في الإسلام نفاقاً بدور خبيث بالتعاون مع أعداء الله لإسقاط الخلافة العثمانية[3].

---

(١) الحشر: آية١١.

(٢) انظر: البداية والنهاية (٢١٢/١٣)، ظاهره النفاق (٥٨٥/٢).

(٣) انظر: ظاهرة النفاق (٥٨٨/٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد:

فلقد تبين لنا من خلال هذه الوقفات التي عشناها مع آيات سورة التوبة، وما ذكرته عن النفاق والمنافقين أمور عدة؛ لعل أبرزها:

١- خطورة النفاق، وأنه مرض فتاك وداء عضال يوشك أن يودي بالفرد والمجتمع إذا لم يتدارك فيعالج.

٢- ومما يدل على خطورته إكثار القرآن الكريم من الحديث عنه وبيان أسباب نشأته، وصفات أهله، وأساليبهم التي يسلكونها لتحقيق مآربهم الفاسدة.

٣- أن النفاق، وهي الظاهرة الجبانة بين مد وجزر .. قوة وضعف بحسب ظهور أعلام الإسلام وقوة المسلمين، فكلما قوي الإسلام توارى النفاق وانخزل، وكلما ضعف الإسلام وأهله نجم النفاق وبارز أهلهُ بالعداوة.

٤- أن النفاق كسائر الظواهر والأمراض له أسباب باعثة عليه وداعية لتفشيه، ومنها:

أ - مرض القلب.

ب- الحرص على الدنيا.

ج - الجبن.

٥- أن للمنافقين أساليب متعددة يسلكونها للنيل من المسلمين والوقيعة بهم، وقد ذكرت السورة من ذلك:

أ - الكذب ومخادعة المؤمنين.

ب- إلقاء الخبال والإيضاع بين المؤمنين.

ج - الغدر.

د - مسجد الضرار.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يقينا وأمة الإسلام شر النفاق وأهله. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن الواحدي، ت: كمال بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٤- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ت: عادل عبدالموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

٥- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط الخامسة ١٤٠٤هـ.

٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروزآبادي، المكتبة العلمية، بيروت.

٧- البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني، ت: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والوثائق، الكويت، ط الأولى ١٤١٤هـ.

٨- تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن المباركفوري، دار الفكر، ط الثالثة، ١٣٩٩هـ.

٩- تصحيح الدعاء، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٨هـ.

١١- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٢- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أبو جعفر بن جرير الطبري، ت: محمود محمد شاكر، راجعه: أحمد محمد شاكر. ونسخة أخرى: دار المعرفة، بيروت (الإحالة عليها من الآية ٢٨ من سورة إبراهيم إلى آخر القرآن).
١٣- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ت: عبدالعزيز غنيم، محمد عاشور، محمد البنا، دار الشعب، القاهرة.
١٤- تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، ت: ياسر إبراهيم، غنيم بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط الأولى ١٤١٨هـ.
١٥- تفسير القرآن، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤١٠هـ.
١٦- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ.
١٧- تفسير المنار المسمى: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن سعدي، دار الإفتاء بالرياض، ١٤١٠هـ.
١٩- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان الداني، صححه: أوتويرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٠- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار السلام، ط الثانية، ١٤٢١هـ.

٢١- الجامع الصحيح، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط الثانية، ١٤٢١هـ.
٢٢- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، ت: عبدالله التركي، وآخرون، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.
٢٤- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي، توثيق وتخريج: عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمود الآلوسي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٦- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٢٤هـ.
٢٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى، ١٤١٢هـ.
٢٨- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار السلام، الرياض، ط الثانية، ١٤٢١هـ.
٢٩- السيرة النبوية لابن هشام، ت: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
٣٠- شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣١- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، ت: شعيب الأرناؤوط، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ.
٣٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول n، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٣٣- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام، الرياض، ط الثانية، ١٤٢١هـ.
٣٤- صفة المنافق وذم المنافقين، أبو بكر الفريابي، ت: محمد عطا، دار الكتب العلمية، ط الثانية ١٤٠٧هـ.
٣٥- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار الفكر، بيروت.
٣٦- ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط الأولى ١٤١٤هـ.
٣٧- عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الفكر.
٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة.
٣٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٤٠- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.
٤١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود الزمخشري، ت: عادل عبدالموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ.
٤٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي

طالب، ت: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الخامسة، ١٤١٨هـ.

٤٣- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت.

٤٤- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ت: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم، إدارة المساحة العسكرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٤٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبدالحق بن عطية الأندلسي، ت: عبدالسلام عبدالشافعي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.

٤٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٤٨- المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم، إشراف: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.

٤٩- المسند للإمام أحمد بن جنبل، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤١٣هـ.

٥٠- المصنف، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥١- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد النمر، وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٢- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبدالجليل شلبي،

دار الوليد، جدة، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

٥٣- معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، ت: محمد علي النجار، دار السرور، بيروت.

٥٤- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت.

٥٥- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

٥٦- المنافقون في القرآن الكريم، عبدالعزيز الحميدي، دار المجتمع، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

٥٧- المنافقون في القرآن الكريم، محمد يوسف حسن، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٥٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الأولى، ١٣٩٥هـ.

٥٩- النفاق آثاره ومفاهيمه، عبدالرحمن الدوسري، دار الأرقم، الكويت.

٦٠- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٦١- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.